محمد الفيتوري

قوس الليل قوس النهار

دار الشروق

قوس الليل قوس النهار

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN
بيروت ، ص ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف . ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣
فاكس ٨٦٧٥٥٥ ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

محمد الفيتوري

قوس الليل قوس النهار

دار الشروق

الإهـــداء إلـــى R - A

. . ولقد آثرت أَنْ لا أبوح بأسمها . .
ذلك لأَنها تعنينى وحدى
وإذا لم أستطع التطلع إليها فى شىءٍ من قصائدى ، فذلك لأنها
تتواجد فى مكان ما من كتاباتى (١٩٩٣) .
إن R - A هى ذاتها قوس الليل . وقوس النهار .
فإلـى تلك الصنـوبرة الأطلسـية التى أنْحَنَتْ بأغصانهـا فوقى ، بعض
ما اشعلت فـى روحـى مـن أحـاسيس الغضـب والفـرح ، والجمـال
والعاطفة ، والقلق والانبهـار .

محمد الفيتورى

إشـــــارات

« . . وها أنذا دائب الدوران حـول الشمس . .
فما أعجبها . .
ولا سبب لهذا سوى جلال الشمس »
جـلال الديـن الرومـى

ولا تلم السكران فى حال وجده
فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا
عبد السلام الأسمر الفيتورى

يشبه الشاعر أمير الغيوم
الذى يطارد العاصفة . .
ويهزأ من رَامِي النبال
شـــارل بـودليـر

تحـديث الكلاســية
أو
تطعيـم المـرمـر بالأبنــوس

بقلم الدكتور
محيى الدين صبحى

مقدمة

قارئ هذا الديوان سوف يعاني تجربة شعرية فريدة لأنه سيمر بتجربة الحداثة الشعرية من خلال نسج كلاسي قل لمتانته مثيل في شعرنا المعاصر. وحين يبلغ شاعر عربي أن يقدم الحداثة كما يعرفها الشعر العالمي ، أي أن يسمح الشاعر للتجربة أن تسيطر عليه وتصوغ حساسيته ، في قالب من السبك الذي يجعل اللغة تتجلى بإيقاعاتها وتغير مدلولاتها وتبقى متماسكة متراصة ـ فإن مثل هذا الشعر يرتفع بشعر أمته إلى ذرى من الأصالة تضطرنا لإعادة النظر في شعر المرحلة ومفاهيمنا عن الشعر بعامة . فالحداثة تعتمد على وعي نقدي بالإجراء الشعري من جهة ، وبالتجربة العامة من جهة أخرى ؛ كما أنها تقوم على الموضوعية في الأداء بحيث تبرز التجربة وتتوارى ذات الشاعر حتى كأننا نسمع التجربة ذاتها تتحدث عن نفسها بلسانها . وفي هذا السديم تلغي

المقولات بعضها بعضًا فنبقى في فضاء الشعور الصافى الذي يكاد ـ لشدة امتلائه بالمضمونات المتناقضة ـ أن يبقى شعورًا بدون مضمون :

جيلٌ رماديٌّ الخطايا
يَتهاوى كفراش الضوء
في مرآة جيل
وأوجه من زئبق
تكاد فى مدارها القطبى أن تسيل
وكبرياءُ أُمَّـةٍ
فكَّتْ عقود شعرها
في مشهد ذليل
وأنت ياسيدتى المنقوشة اليدين
بالأسطورة
المملوءة العينين بالعويل
لك الله ولى . .

وشعر الفيتورى بوجه عام . لا يفهم إلا بمعرفة خلفيته التاريخية . لكن نمط وجود الحادث التاريخى . يختفى وراء ظواهر كونية يؤديها الشعر بنوع من العرافة :

رُبَّمـا لم تزل تلكم الأرض

تسكن صورتها الفلكية

لكن شيئًا على سطحها قد تكسر

هذا هو صوت العراف الرائى الذي ينطق بلسان الوعي الكوني . غير أن هذا الوعي المرتبط بحركات الأفلاك وزلازل الأرض سرعان ما يتجه إلى الإنسان :

غير أنك تجهل أنك

شاهد عصر عتيق

وأن نيازك من بشر تتحدَّى السماء

وأن مدار النجوم تغير !

وهنا تقترن العرافة بمناجاة الذات ، ويغدو الوعى الكونى برزخا بين المعجزة الغيبية والتاريخ الذي يصنعه البشر ، فنظفر بهذا التعبير الشعرى العجيب « نيازك من بَشَرٍ » . البشر الذين يصنعون التاريخ يغيرون الطبيعة . أو أن تغيير التاريخ في مثل معجزة تغيير الطبيعة . وهذا هو ما أراد أن يقوله الشاعر . .

ليس ثمة من عبق في المعابد

تلك السقوف المُشِعَّةُ من ذهب سائل

والتماثيل من حجر مرمريٍّ

وأيدى المصلين مصلوبة
والتراتيل دائرة من بكاء

إننا هنا نتبين شكل القصيدة من طريقة نظم الكلمات فيها ، وهو نظم قائم على اقتصاد شحيح بها ، فكأن الشاعر وهو يُحدّق فى الحرث التاريخى مشدوهًا بمغزاه ، أخذته الدهشة ، فأرْتِج عليه ، وغابت عنه الكلمات . إنه هنا يحاصر اللغة ، ويضيق عليها الخناق ، حتى تؤتي كل ما لديها . وهكذا تتجدَّد اللغة ، مثلما تتجدد الحياة .

دون أن تصهل الريح جامحة
أو تسيل عيون المزاريب
مرت وجوه الضغينة بالأمس
جيشا يعانق صلبانه . . ومضى
دائمًا . . دائمًا
إنها الريح ، والشمس ، والكائنات البعيدة
تركض عبر دوائر لا تنتهى من حقائقها الأزلية

شكل جديد فى أساليب الاكتشاف الشعرى حيث يجرى توليد الجديد من القديم ، وبقائهما معًا متجاورين ! أو لا يتشابه ذلك مع الواقع العربى حيث يبقى القديم العفن ، ومع ذلك ينبثق منه واقع

متمرد جديد ؟ أو لا تتوالد مشاهد التاريخ الواقعى ، من واقع أسطورى يكاد لا يُصَدَّق !!

ذات يوم تحجَّرتْ الشمس فيَّ . .
وكان أعترافي . .
قالت معذبة الصوت :
« أن السماوات ما عدن زرقاء
والصحو يبتلع الحلم
والجوع يبسط تحت جناحيه
مائدة الخبز والفقراء !

إنه ليس أبدًا كالآخرين . . إنه ـ وبحق نسيج وحده ـ يكتب مؤمنا بقدرة الكلمة على نسف الواقع ، وإحلال غيره واستحضار البديل بقوة الرؤيا ونفاذ البصيرة وسمو المثل العليا التي يرقى إليها التعبير . إن محمد الفيتوري من بين كبار شعرائنا المعاصرين البارزين الذين حاولوا زحزحة هذه الصخرة ونطحوها بقرنهم وقفزوا في وجه الغول لينزعوا أنيابه . فعل ذلك مذ كان يافعًا في الأزهر ، وعاشقًا لأفريقيا ، وحانيًا على أشلاء هذه الأمة يرمم عظامها ويعطيها من دمه لتعود . . وقد عاصر تطور الشعر المعاصر منذ الإصلاح العروضي في فرط البيت واستعمال التفعيلة إلى أن صار لغزًا لا يفهم لاختلاط الرؤى على البصائر الكلية . فكان دائمًا من

الفحول في مقدمتهم ومن الحداثيين على مسافة تباعده عنهم ليسبقهم في إدخال الحداثة على الكلاسية العربية وتوسيعها كي تستوعب رؤيا الشعر الذي تقطر وتجوهر حتى غدا شعرًا للمستقبل . فهو يعيش صيرورة القيم في مسرى الحضارة حيث يكون الشاعر ، بحكم موقعه الإيديولوجي ، عنصرًا فاعلاً في الصيرورة لأنه يعاني الشد الذي يتنازعه بين الواقع المتردي والانخطاف إلى عالم المثل .

محيي الدين صبحي

بيروت 1994

لوجهــك ياســـيدى !

فـي مـدينـــة قلبـى الغريبــةِ
حيـث يفـوحُ غطيـطُ الغـرانيقِ
في بَـهْوِها الملكيِّ الحنـونْ
جثـوتُ وحيــدًا علـى ركبتـىَّ
وبـى قـمـرٌ غــارقٌ فـي دمـى
لا تـراه العيــونْ
وحيــدًا أُصلـيِّ
وكان عـلى الـمـاء نافِذةٌ أشعلتْهـا يَدَاكَ
وآلـهـةٌ مـن جمـالِكَ هـائمـةٌ في سـكونْ

لوجهك ياسيِّد القلب

ما سال من ذهب العمر مختلطًا بالرمالْ

وما نقشتْهُ الرياحُ القديمةُ

من صُوَرٍ في الجبالْ

* * *

لوجهك يا سيد الكونِ

تغدو حقولُ النجوم بحارًا من الضوءِ

هادرةً في دُجىً مطبقٍ من هيولاك

محرقةً بصواعقِ سيفك

أزمنـة المـوتِ والظلمـاتْ
وفي نهر وجهِـكَ تسـبحُ روحـانِ
زنبقــةٌ سكبـتْ عطـرهـا
في صـلاة الصبـاح لديْك
ونـورسـةٌ أَبصـرتكَ مـع الفِجْــر
فأستغرقتْ فيك مأْخوذةَ الكلمات

* * *

بـلى . . ولأنـك ياسـيد الــذات
تُشـبه ذاتك فى ملكوتِ صفاتك

في كل حـــال
خلعتْ تاجَها الشمسُ عند الظهيرة
وأحتجبـت فـي سـرادقِهـا الشفـقيٌّ
لتمـلأ ثانيـة كأسَهـا من رحيقِ الجمالْ

* * *

سـيِّدى . .
ولوجـهـك راقصـتُ أَقنِعَتـى عـاريًـا
وَتسلَّقتُ أغصـانَ مـوتـى
وَأَطرقت في ذروة الوصل أُصغى إليك

وأنـت تكبِّلـني فـي دمـوعي وصمتي

وتسكبنـــي فـي تـرابـــي

وتقســو فتملؤنـى من عــذابي

وترفــعُ عنـــى الغطـــاء

تُرَاكَ قسوتَ لأذكْر عمرى

الـذى كان تحـت السمـاء

وصـوتى المرصَّـعَ بالعشـبِ والملـح

فى زمـن النـور والأنبيـــاء

وَحُرِّيتى كيف كانت حياة

وكانت صباحًا . . وكانت مساءْ

وكيف أستحالتْ . .

فلـم يبـق إِلا رمـادُ الحـرائق والكبرياء

وبعضٌ مـن الشـعر

بعـضٌ مـن العشـق

أكتبه . . وأُغنيـه وحـــدى

غضبـانَ متشحًا بالكآبــة

غصـــان مختنقــا بالبـكاء !

الرباط 1991

شيخات جبال الأطلس

حـامــلاتُ الـدّفُــوفِ الإلاهيَّـــة

النســـوةُ الأطلســـيَّاتُ

يُولَدْن في حجـرات الأسـاطير

حيث يلامسهن الجمال رويـدًا

وَيأخُـذْنَ أشـكالهنَّ

حاملاتُ النقـوش السمـاوية

الصَّاعداتُ كعطر المجامر

صوب النجوم بأصواتـهن

يعـانقن أيامهـن العتيقـةَ في رقصـة النـار

يصنـعن من ذهـب النوم والسحـر
طقسًا عجيب التفاصيل
يضفرن عرسًا من الصور الشاردات
مزارًا من الموت والصلوات الغريبة
حيـث يُتَوجِّـهُـنَّ بهـاءُ الذهـول
وَتَسـكُنُ أرواحُـهُـنَّ الشقيـةُ
في ضربـات التعـاريـج [١]

---

(١) التعاريج جمع تعريجة ، وهي اسم لأداة عزف تقليدية ، مصنوعة من الفخار ، ومعروفة جدًا ، فى أقاليم المغرب .

يشتعل الشفق المغربي المرصَّعُ بالذكريات

وتكسر آلهة المسك إِبريقَها الذهبى

ويكسو الشذى رعشاتِ الحقول

وتلتفُّ عاصفةُ العصر حولي

أنا الغجرى المسافر في دورة الأرض

تلتف عاصفة العصر حولي

يحاصرنى موجها المتدفق في قنوات العيون

وأقبية المدن الهاربات من الضوء !

* * *

ذات نـهــار رأيـتـــك

« قالت معذبةُ الصوت » :

ـ كانت سقـوفُ نحاسـيةٌ

وتماثيلُ خلف الغيوم

تطل عليك . .

وأنت تُجَدِّف باسـم المسوخ

التى أنتصبـت فـي الـزوايـا

وتذكر أزمنـةً ومدائـن تائهـة

في بخور التعاويذ . .

ثـم حجبتـك عـــنى

لكى لا ترانى في الزمن المستحيل

« فرسٌ راكضٌ فى رماد الضحى

بيرقٌ مائل في غيوم الأصيل »

*   *   *

ذات يوم تحجَّرتْ الشمس في . .

وكان أُعترافى . .

« قالت معذبةُ الصوت » :

أَنَّ السماوات ما عدن زرقاء

والصحـو يبتـلع الحلـم
والجـوع يبسط تحت جناحيه
مـائدة الخبـز والفـقراء
وكان انخطـافي
أن رداء الحيـاة ثقيـل
وَأَن الأقانيم خالدة ، والزوال احتمـال
وأن جـمـالَ البـديلِ ، بديـلُ الجمـال

* * *

ذات يوم ، تراءيتُ أغنيـةً في خيـالك

ثم انحنيتُ حزينا على صورة الماء

كيف انحنيتُ على صورة الماء

حتى تلاشيتُ عبر اكتمالك

كيف أشتعلتُ . .

وأبصرتُني فيك أَيقونةً

وأنا أتقلب في دَهْشَتِي واكتشافى !

الرباط ـ المغرب 1993

تداعيات في زمن جورج غانم

إليه في ذكراه الأولى
شاعرًا و إنسانًا بلا حدود..

كُنَّا معًا نسـرقُ أسرار السماوات
وكان العمـرُ بسـتانًا مـن الشعر
ولبنانُ مرايا من رسوم وصورْ
كنا إِذا ما أشتعلتْ فينا الأساطير
كسرنا جَـرَّةَ الخمر الإلاهي
وزخرفنا بأيـدينا قنـاديلَ المـطرْ
كنـا هنــا ياجـورج ، يـومًـا
هــل تـرى تذكرنا السـاعة ؟
أم أنك مأخوذٌ بإيقاع القدر!

كنـا هنـا . .

لم نحتطـبْ في غـابة المـاضـي

ولم ننفـخْ رمـادَ العصر

لكنا تلـكأْنَا على أَرصفـة الحـزنِ قليـلاً

لم نكن نغرقُ في الدهشة

لـولا شفـقٌ نـاءٍ بطـيءٌ

ربما كان انعكاساتِ رؤى الموتى على الأحيـاء

أو كان انهيـارًا زمنيـًّا في جـدار الوقـت

هل تسمعنى في صمتك المثقل بالأزهار

إِنى قادمٌ بأسمك من أقصى مداراتى
إنى صـارخٌ باسمـك . .
في حيث يكون الشعر إِصغاءً إلى التاريخ
أو حيـث يكون أسـمـك
تاجًا أرجوانيًّا على لبنـان !
هل تبصرنـى ؟
إِنى هنـا ياجـورج . .
مكتوبٌ على عينىَّ أن أبقى سجينًا في معانيـك
وَأَن أبِكَي موتاى الكثيرين ، ولا أبكيـك

أن يصبغ لونُ الرمل أجفانيِ ، ولا أبكيك
أن يرتطم الإعصار في دربى ، ولا أبكيك
هل تغفـر لـي ؟
أنى أُصَليِّ لك في شعـرى . .
ولا أرثيـك !
أَنى أنحنى ، شمعةَ إيمـانِ
لـدى أُبهَّـةِ المـوت
وأستثنيــك
يا صاحـب أيامى . .

يستغـرقنى مـنك ذهـولٌ عاصـفٌ

أمطـارُ قُـدَّاسٍ سمـاويٌّ

وجوهٌ من شموعٍ ، وقناديلُ رخـام

وَخُـــطَى آلـهـــةٍ مختـالةٍ تمشـى

فأبكيك ، ولا أجرؤ أن أبكيـك

أعدو كاشِـفَ الصـدر

وتعدو مركبات الموت من حولي

فَأَدَّاخَـــلُ في صمـــتى

أبكيـك ، ولا أبكيـك

أرثيك ، ولا أرثيك

بابٌ موصدٌ هذا الأسى الممتَدُّ في روحي

باب حجريٌّ موصد

أوديةٌ وحشِيَّةٌ العشب

وشمس رثَّةٌ

وأنت ماض بانفعالاتك . .

مَكْسُوٌّ بأحزانك ياجورج

إلى أين ؟

تريَّثْ لم يزل لبنان لبنان

يذوب الثلـج في ناعـورةِ الـوادى

ويصحو الجبلُ العالى ، ويعلو نجم لبنان

فلا تعجـلْ . .

ولكنـك تمضى ياحبيبى مسـرعًا

تمـلأ هذىَ الأَرضَ ، شعرا ومزامـير

وتمضىِ قلقـا وموجعـا

وأنت في نأيـك . . لم تـزل هنـا . .

ولم تـزل هنـاك . .

أرزة تغسـل رجليهـا بمـاء النهـر

أو عصفورة تنقر وجه الريـح

أو سَارِيةٌ مِنْ لهبٍ تخترق الضبـاب

* * *

أبكيـك ، ولا أبكيـك

أرثيـــك ، ولا أرثيـــك

فالموتى ينامون على أكفانهم

وأنت حي بيننـا

وليس موتًا أبدًا هذا الغياب !

الرباط ـ بيروت 1993

صـــورة الســـــمــاء . .

(إلى الفنان عبد الله غيث)

— 1 —

حَـدَّقَ في المشهدِ كالمبغُـوت . .
كانت تتدلَّى الشمس مثل طائرٍ أسودَ
مَصبْوغِ الجناحـين . .
ومصلوبٍ على أعمدة الفضـاء

— 2 —

أغرق في المشهد
كانت عرباتُ الغِجر الرحل تنساب مع الأشِباح

في الفجر الضبابى
وكانت زهرةُ التاريخ في معطفِها القانى
ورملٌ في الينابيـع . .
وعشـبٌ في صخور الجبـل الجـرداء

— 3 —

غاب عن المشهـد . .
عادةً تضاهى صورةُ السماء صورةَ السماء

— 4 —

كان إذا الظلمةُ قصَّتْ شعْرَها المائلَ

فـوق المـــاء

يُشْعِـل ذاتـه

ويطلق اُسـمه على غرائب الأشَياء !

الرباط 1993

بالحـــب أو بالـرحيـــل !

ثلاثُ نجمَـاتٍ بِلا طقـسٍ إلا هِـيٍّ
ثلاثُ صور تغرق في روزنامة الماضى
عروشٌ من نحاس
وتماثيلُ على الرمل
وأشباحٌ تسيل في الهواء
ها هوذا منتصفُ الدائرةِ القطبيِّ
تلك الكرةُ الضخمة ، لن تقوى على أحتمالنا
فاحمل فضاء مفعماً بالحب فى صـدرك
أو فأرحـلْ

تقول أمرأةٌ في الظــل

ـ كان اللـه يومًا ، صورة تطبع هذا الكون ـ

ثم أتزاحت الصـــورةُ

وأستبدلها الإنسان بالأقنعـة الأخـرى

يقول الرجل الشــاردُ في الأيِام

ـ ليس القهر ، حيث أتسعت خطوته

إلا أمتداد القهر

والأرضُ التى تبتلـعُ النقمـة

بركانٌ من الأبخرةِ الرطبـة

والأصبـــاغِ ، والمِلـــحَ

فهل أدركتْ القـــوةُ

معنى أن يكون الظلمُ تاريخًـا

وَأَن تركض رُوحُ الحقِّ كالمجنـون

فى أبـهـاء هـــذا العصـــر !

الرباط 1993

غيوم المدن الصفراء

تحت هجيرٍ فاقعِ الألوان

عشنا عصرنا ـ نحن مرايا العصر ـ

عشناه خطاةً ومُرائـينَ ، ومضطرين

حتى اُختلطتْ أمواجـه فينـا

وغطَّتنا غيومُ المـدن الصفـراء

هل كنا سُقوفًا من زجاجٍ زخرفتْها الشمسُ

هل كنا انهياراتِ بروقٍ ، في كهوف الليل ؟

أَمْ صقورًا ، نفضت ذات شتاء ريشها الوحشى

مَنْ كانَ هُنا قَبْـلاً ، وأصغى ، ورأى ؟

مَن جـاء حيـث لم نجـيء قـط
وَمَن أرخى ستائر الشموع خلفه
وأنطفـأَ
مَن شقَّ في قلب الفضاء فجوةً
ثم مشى داخلها وأختبـأ
ومَن تـدنَّى ودنـا
ومَن تناءى ونأَى !

الرباط 1993

لحظة يا سحاب الجمال

كيف باغَتَك الوقتُ ياذهبَ الوقت ؟
حتى كأنك لم تَشْق رُوحَيْن
مِن شَهْوةٍ في الخيالِ
تريث ، ولا تنهمك في الغيابِ
إِنكَسِرْ شفقًا سائلاً في أوانى السماء
أتخذ من نواظرنا شُرْفةً رحبةً للغناء
نحن أسرى بهاءِ انكسارك
فامتد عبر انكسارك
عاصفةً من طيور البحار الشريدة
أَو رجْعَ قيثارةٍ في انحدار المساء

انسكب في جوانحنا . .

سَوْف تمطر فيك الغيوم

التي لم تُعدْ فوقنا

وأشتعل في أَناملنا

سوف تُومض فيك الشُمُوُعُ

التى انطفأت بعدنا

لحظةً يا سحاب الجمال

لا تُعَجِّلْ بِنَا

نحن سكرى ، ورقصتنا لا تزال !

1993

مـن شـــرفـة باريـزيـــة

منـذ سنين مررت من هنـــا

وقفت طويلاً ، تحت هذه السماء

هل تراها باريس أخرى !

لم تعد الأشياء هى الأشياء

تغير كل شىء . . لم يتغير شىء

هى التى تغيرت . .

أنا الذى تغيرت . .

لم يزل راسين وكورني . . فيكتور هوجو

وجورج صاند . . شارل بودلير وجان كوكتو . .

بيكاسو العصبيّ وجوجان . . سارترو سيمون . .

كلٌّ فوق مقعده الحجـريِّ
في حديقـة المدينـة الخـالدة
التي صنعت يوما ما ، تاريخ هذا العالم
تلَّفتْ حواليـك . . بلى تلَّفتْ حواليك . .
إِن السيدة الجميلة ، العريقة التي
كانت عشيقتك ، ذات صباح ، ذات مسـاء
لم تزل تحمل عبقها ونضارتها ، وهى تطل عليك الآن
مسترخيةً ، وبازخـةً ، ووديعـة
مليكة أسطورية تتألق في شرفـة باريس
أنت الآن هنـا . .

والآخـرون هنـــاك
أنت الآن أعمق سكينـة
ولكنـك أشـد اشتعالا . .
أقل جنونًا ، ولكنك أكثر طمأنينة
ليت لنا ، نحن الذين نمضغ ليل نهار
في بلادنا ، كلمات الحرية والديموقراطية ، وحقوق الإنسان
ليت لنا ، بعض مالنا هنا
في وطن الغربة ، باريس !

باريس 1993

كتابات قديمة !

يَسْهَرُ المـوْتَـى الذين أغِتَسَـلوا
في مطـر الشمـس . .
ومـوتـــاك نِيَـــامْ
قطفوا زهرتهم في الزَّمنِ الماضى
أستراحوا . .
وتغطَّوا في خطاياهم بأَعَشاب الظِلام
ثم ماذا جنتْ الأوطانُ من أيامهم . .
إلا حطامٌ ، في حطام ، في حطام !

تقاسيم على المتدارك

نـَادِرًا مـا تفـوح زُهُـــوُر الخطـايـا

نادرًا ما تبوح الشفاه بأسْرَارِها المغلقَةْ

نادرًا ما تُقلِّـب أشـكالهـا

صورُ الموت في الكائنـات

نادرًا ما تُخَبِّئُ قيثارةٌ صُوتَها في الرمال

نادرًا ما تكون القناديلُ أَعْمِدةً للغياب

نادرًا ما تموتُ العصافير

فـوق رفـوف الغيـــوم

نادرًا ما تسيلُ الحـروف

نـادرًا ما تشـع الكآبـة في ضحكات الوجـوه
نـادرًا ما تنـام الإرادة في رحـم الكبـريـاء
بأنتظار اشتعال السماء !

الرباط 1993

زهـــر الكلـمــــات !

لم أَجِـدْ غير نافذةٍ في سمائك

مبتلـةٍ بدموعـى

فَأَلْصقتُ عينَّى فوق الزجاج

لعلى أراك

لعلك تبصرنى ، وأنا هـائمٌ

مثل سربٍ من الطير ، منهمكٍ في مداك

لـمـاذا تلِّوحُ لـي من بعيـد

وتتركـنى مغــلق الشفتيـن

وتدخـل في غـابةٍ من سناك

لماذا تغيب ؟
كأنك لم تدر أَني زرعتك في جسدي
فأزدهرتَ نقوشًا
وَأَنى نثرتك في أفقي
فأشتعلتَ شموعًا
وَأَنى رسمتك أَوديةً ، ومدائنَ مسحورةً
وتشكلتُ مثلك في زرقة الكائنات
وما زلتُ أُولدُ في زهر الكلمات !

1993

المتـفــرد بـذاتـــه

والآن تسـألـنى !

وقد غطى اُسمك التاريخ

بالـورق المـذهَّـب

والأكاليل الحزينـةِ

وأحتفالات الرتابـة

كيـف تبصـرنـى ؟

وكيف سيقرأ الآتون ذكـرى

في السنيـن التاليـة

وَأَقـول ياموﻻى :

إِنك فوق ما أدرى

وَأكْبرُ من خيالاتى

وَإنْ أَكُ قد عرفتُ

فأَنت أعدلُ من عرفتُ

وأنت سيدهمَ وإِنْ كثروا

وأوشك أَنْ أُشِيد بذكر عصرك

غير أنك أيها البشر المقدس

ذو التفرد والمهابة . .

في الحقيقة طاغية !

1993

تــداخـــــــلات

أَصْغَيْتُ . .

كان الرملُ في طاحونَـةِ البحـر

وكان الصيفُ في غنائه المضطربِ الخجولْ

وَقُبَّعَاتُ الورقِ الأصفـر

يستغرقها تآكل الفصـول

وقلت : ياللحزن ضاع العُمر . .

قالـت : إنهـا الأيـام

قلت : الشعـر

قالت : خيمـة الأحـلام

قلت : الحُـبُّ

قالت : ذَهَبَ العاشِقُ في المعشـوق

والمخـلوقُ في الخـالق

. . ثم أنهمـرتْ مصغيـةً . .

واختلــط السـائل بالمسئـول

ـ ماذا قالت النجمـة للنوتِيِّ

والطيـنة للشمـس

وهل أوشكت الكاهنةُ العمياء أن تقول ؟!

بـيـن النـقـيضـــين

بلى . . وتمشى بغلةُ الصُّوفِيِّ فوق المـوج

إِنْ شـــــاء . .

ولا تبتلُّ بالمـاء

ولولا سره في الكون

لأمتد سحابٌ قرمزيٌّ هائل

بين المجـرات

فلم تبصر عيون البشر الفانين

إلا عتمـة الأشياء

يابغلةَ شيخي . .

الحــبُّ لا يسطـع إلا في مـرايا الحــب
والخارج بأسم الله ، مشدودٌ على آخره
بـين النقيضــين
وصوت الحق أجراسٌ تدق الآن
في أَحشاء هذه الأرض
والنــار حُـوَارُ العــدل والقــوة
والعدل بلا عينين !

قـداس أفريقـي لـروح الشيطـان

نَجْمـةٌ مـن دمٍ

أَشعـلتْ ذات ليـل رَمَـادَ يديـه

فَأَقعْى حزينًا ، على باب خيمته

وأستحال إلى محرقـه

عرفتـه السمـوات ذات العيـون

المغطـاةِ بالثلـج

والأرضُ حارسةُ الموت والعتمة المطلقة

عرفته سقوفُ الخرافـات

والصـلـوات الكئيبـةُ

والصور المرهقـة

صنعـوه كما صنعـوا غـيره

هدمـوه ، ويبنـونه في غـد

ربما أستنسخـوا مثـله

ربما أستنسخــوه . .

ولكنهم الآن ، في حفل قداسهم

ينحتــون له خشــب المشنقـــة

1993

لا شـــيء يا مـــرج الزهـــور

لا شــيءَ

إلا مركبـات الثلـج فـوق الثلـج جانحـةٌ

وأقـمـار الفيـافي المعتمـاتِ تمـوج

في ذهـب المتـاحف والمصـاحف

والشواهد والقبـورُ

لا شـيءَ

إلاَّ برقُ أمـواج المجـرات المجنحةِ .

التى عبـرتْ ، وتعبـر مـرة أخـرى .

وتعتـاد أحتمالات التلكؤ والعبـور .

هى نفس أزمنة التماثيل التى هجرت متاحفها
الفضاءات التى أُتشَّحَتْ بأمطار العصور
نفس البيارقِ والبنادقِ
والحرائقِ والمشانقِ
والمزالقِ ، والصخورُ
لا شىء ياموج الزهور
ما دام سيف القهر فوق إرادة الإنسان
سوف تظل روح العدل هائمةً
تسابق ظلها الثلجىَّ

والتاريــخُ أوراقٌ مزوقـــة

عـلى الحيطـــان

والدنيـا تدور ولا تـدور !

1993

الكـرنـفـــال

ياهِـذى المدينـةِ . .

مأخوذةٌ بانهياراتها وهى تحلم بالمستحيل

ياهـذى المدينـةِ . .

مزهـوةٌ ، مثل أغصان كافـورة

تتـزيـن في كرنفـال الرحيـل

ياهـذى المدينـة . .

قلت لنفسـى :

إنِى تنـاثرت فـوق حـوائطهـا ذات يـوم

وتسكبنى الريح ملء طواحينها ذات يوم

وأمضي . .

ويبقى العذاب ورائي

ويأتي الذين سيأتون من بعد

هذي المدينة من جسدي

فهي أزهار صيفي الحزين الجميل

وعشب شتائي

وكنت إذا ما استدرت ، فلم ألق

غير نعوشِ النبيين فوق يديها

تقوقعتُ في كبريائي

وأطفأت شمعى ، منكفئًا

في مـــــداري الطــويــل

بعض هــذي المدينـة موتـي

وبعض الدم المتجمد في شفتيها غنائي !

1993

قمر للغناء !

مَطَرٌ أخضرٌ ، وعيون مرصعةٌ بالرؤى والأساطير
كانت تحاصرنى الذكريـاتُ
وباريسُ سابحةٌ في الفضاء السماوى
بـاريـس تبنـى كنائسهـا الذهبيَّـةَ
فـوق جســوم محنطـةِ في التوابيـت
باريس ليست مدينة . .
وتطلعت في البشر العابرين
كأن سحـابا من الصور المشمسات
يذكرنى بتراب بلادى

ويلقـى حـرائقـه في جـروحي
كأنكِ أَنت التى أُشتعلت نجمة
ثـم غابـت مع الوهـج المتـدفق
أو موجة الكلمات التى انفرطت
فجأة في دموعـي
أواه ، لو كان لي لجعلتك في غربتى
قـمـرًا للغنـــاء
يارفيقة روحى
فباريس من دون وجهك أرض حزينة
وباريس ليست مدينـة !

مـونـولـوج داخـلـى

تظلُّ بين الحلم .واليقظةِ

بين الموتِ والدهشةِ

بين الصمتِ والبكاءْ

تبحث عن عاصفةٍ في الغيب

أو معجزةٍ في الرمل

أو أَجنحةٍ في الماء

يكبرمن يكبر في ظلك

أو يصغر من يصغر

أو تعتم تلك الشمس أو تضاء

وضحكةٌ صمغيَّــةٌ صــفـراء

فوق ضحكة صمغية صفراء

وَسَــنةٌ عرجاء أثر سنةٍ عرجاء

والأَرضُ في محــورها كالأمــس

تجرى ، أو تدورُ ، أو تغوصُ في الهواء

إلى متى ؟ إلى متى ؟

وأنــت هكذا ، بلا بدء ، ولا انتهــاء !

الـرجـل الـذى خـانـوه !

لمْ يَقُـلْ شيئًـا

مضى يهدر كالشـلال في أوديةِ الموت الرُّخَامِيَّةِ

غضبـانَ جحيمِّي المعاناةِ ، شريدًا ، وطريدًا

لم يقلْ شيئًا . .

بـلى . . أنشـالت على خـاطره

ساعةَ خانتْهُ الخيانات التى تفترش العصر

وسـاقتْـه إلى الماضـى شهـيدًا

أنه بـاقٍ . . وهـم مـوتـى

وَإِنْ طالت على الأرض لحاهم

ولهذا لم يقل شيئًا

بلى ، قال :

سأحتاج إلى مقصلـةٍ سوداء

كـى أقطـع رأس الشمـس

هل تسمَعُنِى الأفعى التى تركض

في صنـدوقهـا العـاجـي

هل تسمعنى الصحـراء

مِنْ عينى هذا الوهجُ الساطـعُ

فـي أيـامـهـا الرَّثَّـةِ

إنّ أسمى محفور على أبوابها الكبرى
وصوتى دقة الناقوس ، فوق المدن الميتة
وَأنشَقَّ ستار الحجر الأسود
فأنسابتْ أغانيه بعيدًا
لم يقل شيئًا !

تونس 1993

مرآة على النفق !

جِيـلٌ رمـاديٌّ الخطـايـا
يتهاوى كفراشِ الضـــوء
في مـرآةِ جيل . . !
وأوجهٌ من زئبـقٍ تكاد في مدارها القطبى
أَنْ تســـيلْ
وكبرياءُ أُمَّــةٍ . .
فكَّتْ عقـود شعرها في مشهدٍ ذليـــل
وَأُخْرَياتُ شفقٍ ناء، وماضٍ مستحيلْ
وأنــت يا ســيدتى المنقوشَة اليـدين
بالأســـطورة

المسكونةَ العينين بالعـويـــل
وحـدك ، لا أشعةٌ تخترق الأحجبة الكبرى
ولا أجنحةٌ تهتك أسرار المجـرات
لك الله ، ولي . .
كيف ستجتازين في هيئتك الرثـة
بَوَّاباتِ هذا النفق الطـويـــل !

1993

مـولـــد أغنيـــة

في الرصيف المقـابلِ

كان الغريبُ يمرُّ بطيئـًا ومشتعـلاً

كان يخلِط ألوانه ، ثم يبصُقُهَا كارهًا

في عيــون المدينـــة

ياوطنًا حاصرتْه هزائمُهُ

ما الذى يصنعُ الشعر

قل لى وحقك ياوطنى

ما الذى يصنع الشعر ؟

والموج يرقد في الرمل ، والريح مثقلة بالرماد

مَنْ ترانا نكون ؟ ومن أى عصرٍ أتينا ؟

وفى أىِّ عصر نعيش ؟

وهل نحن بالفعل أبناءُ آبائنا ؟

مَنْ يُضىء معابدنا ، حين نمضى غدًا ؟

وأراجيحُ أطفالنا ؟

هل ستحملها الريح ؟

في طول أو عرض هذى البلاد

* * *

فى الرصيـف المقـابـل

كانت ميـاه اليـنـابيـع تحـلـم
والشمس تضحك في سرها
والأغــانــي الجمـيلةُ تشرق
في غسق الاضطهاد !

1993

ايـرمـا الطفـلة والجـنرالات !

— 1 —

فرسـان الرايـات الصفـراء

المسكونُونَ بصوتِ الريـح

يُدقُّـون الأجـراس

ويحتفلون بعيد النصر ، على إيرمـا المسكينة

— 2 —

كانت إيرمـا شتلة ورد في شرفاتِ البوسـنة

تسبح في عسل السنوات الخمس

وَتَغْفُو ساذجة العينين ، ملونة الأحلام ،

وذات ضيـاءٍ

ذات ظـــلامْ

جاء الجنرالات طواويس الدول العظمى المنهارةِ

وأغتالوا إِيرما ، واختالوا فوق عظام مدينتهـا

— 3 —

هـل حقـا عـاد المـاضى

يصرخ في روح التاريخ ؟

وهل صنعت إِيرما المسكينة مجد الجنرالات ؟

الرباط 1993

الصـــورة الأخـرى للشـاعـر

مهداه إلى محي الدين فارس الشاعر ..
في تراجيديا الواقع الإنساني ..

تتـوارى الأَوجُـهُ في غابـاتِ الأوجُـهِ
والأشـياءُ تهـاجر في سَـفَر الأشـــياء
وَهُمُوا في إِثرِكَ ، مثل مياه الوقت المعتم
ينحدرون على حطب التاريخ
ويغتالونك بالكلمات
كأنك أنت الواقف وحدك
تحـــت سـقـوف السـيرك
تراقب كيف تموج قـرود السـيرك
وكيف تُفَصِّلُ شمس الليل ، معاطفَ من ذهب
وعرائسَ من ورق ، وكواكب من كلمات

وكأنك أنت الشاهد وحدك
أَنت سليل الآلهة ، المدموغُ على كتفيه ،
العاصفُ ملء جنون اللعنة
أَنت المغمض عينيه ، المغرورقتين
على موسيقى الضوء ، وإيقاع الأصداء

* * *

وكأنك أنت . . وأنت الشاعر
في السنوات الصعبة . .
محض حنين . . محض تقاطر ماء !

الرباط 1993

تجاعيد هذا المساء

ليس ثمَّةَ مِنْ وَهَجٍ في ضفائرها
أحتجبت رُوُحها ، وأستدارت بيارقُها
فالغيوم حرائقُ آلهة
والفضاءاتُ مجرى هواء
أيها العاشق ، أسكب دموعك في كبرياء
وأختبئ في معانيك ، أنىَّ تشاء

* * *

ليس ثمة من عبق في المعابد
تلك السقوفُ المشِعَّةُ من ذهبٍ سائل

والتماثيل من حجرٍ مَرْمَرِيٍّ
وأيدي المصلين مَصْلوبةٌ
والتراتيل دائرةٌ من بكاء

* * *

ليس ثمة من حلم في تجاعيد هذا المساء
أنتما اثنان : عصرٌ وعاصِفَةٌ
فلماذا تقلِّبُ وجهك في أوجه الناس
يأسًا من الأرض ؟
أو خشيةً من سقوط السماء !

1993

رتــــوش علـــــى
لـوحــة صوماليـــة

مقديشو التي لبستْ دمهــا . .

مقديشــو الوجــوهُ الحزينـــة . .

لــن تكــون ، ولــم تــك من قبــل

أولَ مــركبــةٍ فــي الجحيـــم

وآخَـر أُرْجُــوجــةٍ فــي المــطر

مقديشو التي شربت كأسها

مقديشــو الريــاحُ السَّجِينَــةْ

أزهرتْ بذرة الموت في أرضها

والتوى الجوع والقهر حول جذوع الشجر

أَتُراهُ عقــوقُ البشــرْ
أَمْ تُرَاهُ اُنتقــامُ القــدرْ
مَقَديشو على قــبر تاريخهــا . .
أمــةٌ تنتحــر !

1993

ترنيمـة ليلــة رأس الســنة

مِثْلَمَـا أنتَ في الــرُّوح
حيرانُ منكسرٌ ، شاحبُ الوجه
تحـت ضيـاءِ الشمـوع
لكأنِك لـم تَـأْتِ من قبـل
فيمـن تجســدتَ فيهـــم
كأنك لما تجيءُ بعد ياسيدى يايسوع
جعلوك كنائس من ذهب ، وقداديس وحشيةً
وبنوا في ظلال العشاء السماوى
حائط أحقادِهِـم

وَتَغالَوْا فأضحى صعودك سقطة إيمـانهم
وارتعاشات وجدك ، رقصة رعب وجـوع
ونسـوك ، فأيـة أُغنيـةٍ يوم عيـدك
أَيُّ القرابـينُ متَّصِلٌ بك ؟
والأرضُ حولـك ، سوطٌ ومقصـلةٌ
والسماواتُ ، كل السماواتِ . .
مكسوةٌ بالدمــوع !!

1993

صـــورة الـمـاضـــي

وَتُنْكِرِيـــنَنِي
كأنَّ الزمن الثلجيَّ لَـمْ يلبَسْ رداءَ الـبرق
والأرضَ التي عانقتْ التـاريـخَ لا تزال
عجينـةً منسـيةً في الكـون
والكلمـةَ لم تخضَرَّ في أَوْدَيـةِ الخيال
والصمتَ في أُرتعاشـةِ الجمـال
كأننا ـ ياحلم الصحو والاكتمال ـ
جئنا على صُـوَرة ماضينا
نبكيـه أحيـانا ويبكينـا
وننتهـى فـوق أمـانينـا

قـوس الليـل .. قـوس النهـــار

شَبِيهـةٌ في صمتهـا الأخضـر
بالخيل التي تصْهَلُ في ذاكرةِ المـاضـي
وبالنجـم الـذي يحـرس أبـواب الشـتاء
حالمةٌ كأنها ترفل في طقس من البهاء
ناعمة كطفلة عاريةٍ مكسوةٍ بالماء
هل تعرفين ثمنا للحب ياسـيدتى
قالت : وهل غير اكتمـاله بالحب؟
ـ والإيمـــان ؟
قالت : عبق في الـروح

ـ والرغبة ؟ والقسوة ؟ والحنين ؟

والغسق الليلى ؟ والتآكل الحزين

قالت : وماذا بعد ؟

ـ في أيامنا ، وأنت في أيامنا

يسقُطُ قوس الليل ، معكوسًا على قوس النهار

ونحن . . نحن البشر الفانين في هذا المدار

نجيء مغلولي اليدين

نذهب مغلولي اليدين

وقد نموت مطبقى الشفاة

عـاجـزين . .

مثلمـا ترين . . !

مثلمـا تريـن !

الرباط 1993

بـعــض النــاس !

النـار تطبـع وجههـا القـزحـي

في موج الستائر والقباب البيض

هل تصغى إلى اللغة التي نطقتْ بها الثِيران . .

أَيَّـةُ لعنـة تجتــاح هــذا الجـيل ؟!

ـ لن يصغى الرماد لغير فأس الريح

ـ سِرٌّ عذاب هذا الجيل ، في أكفان جلاديه

ـ كيف نسيت أنك شاعر والقوم موتى

ومضيت تنحت تلكم الأوثان في شفتيك نحتا

وكأنَّ مـن شربـوا دما ، وتقيـاوه دمـًا ، ومقتـا

ينسون أَنك أَنت بعض الناس

والطغيـان أعلـى منك صـوتًا

يالافتضاح السر ، كيف نسيت أن المخطئين من الرجال . .

هم الرجال المخطئون :

الجالسون على حطام عروشهم . .

وأنا وأنت !

شـــعراء وسـلاطـــين

دون أَنْ تَصْهَـلَ الريِّـحُ جامحـةً

أو تسيل عيـون المزاريـب

مرت وجوه الضغينـة بالأمس

جيشًـا يعانق صلبـانه . . ومضـى

دائماً . . إنها الريح ، والشمس ، والكائنات البعيدة

تركض عبر دوائر لا تنتهى من حقائقها الأزليَّـةِ

ياسيدى الشعر . . إنك تصغى طويلا

إلى رجع صوتك في فجوة الكون

إنك تبصر ذاتك ، منقسم الذات ، في شهوة النار والماء

فوق الحرير الدمشقي ، غاصَتْ رؤوسُ السلاطين
والشعراءُ النبيين من قبل
ما أشـبه الكبرياء الوضيعـة بالطحلب المتحجر
في صخـرة الغـاب
ما أبعد النوم عن أعين شهدتْ
كيفَ يسَّاقط الراقصون على ذهب العصر
بعض الذين تفـوح عفونة أيامهم
موميـاءٌ مذهبة العظم ، ينقصها أن تتوج في القبر !

موسيقى فوضى الأشياء

يـرُوقُ للعابـد أَنْ يرى انسكابَ وجهِهِ
في شمعـة البكاء
يروق للشاعر أن يُعَلِّقَ النجوم في قطيفـةِ السماء
يروق للمرأة أن تنشر نصف شعرها في الشمس
والنصف على أريكـة المسـاء
يروق للقطة أن تمارس التثاؤب الجميل
والتحديق في مدفأة الشـتاء
يروق للصوفي أن يخلع تاج العقل
أو يلبسه في الحلم ، عندما يشاء

يروق للطاغيـةِ الإبحارُ في ذاكرة الموتى من الأحياء

يروق للأعمي اكتشاف عبث الألوان

في تماثل الغناء

يروق للجاهل أن يغرس وردتين في قميصه :

الغرور والغبـاء !

يروق للقاتل أن ينصت مشـدوها إلى قيثارة الدماء

يروق لي ، أن أسأل الطفل القديـم :

ـ هل رأى طفلا من النور يذوب في الهواء !

الـرقـم المفقـود فـي القـدس

كان المساءُ ، باردًا وموحشًا

وكانَ أَنَّ الملكَ العبريَّ داوود

أفاق من سحاب نومه . . .

ثم رأى أَنْ يتمشى فوق سطح القمر

ـ هل تلك التى تغسل في الظلمة نور جسمها

« بِتَشْبَعُ » المرأةُ ، ربةُ الجمـال ؟

عُنُقٌ كشمَعْدَانٍ مرْمَرِيٍّ

يتلالأ تحت سقف القدس

ساقان كمثل قلعةٍ عاليـة

جدائلٌ من ذهب ، ترقد فوق الكتفين
أُخترتها لي ـ قال داوود الذي يحمل تاج الرب ـ
إنى أُخترتها لي أنا وحدى . . .
فأمض يَاحِثّيٌّ مقتولا ولا ترجع
أو أرجع إن تشأ جُثَّةَ مَصْلوبٍ
على أشجار تلك الحرب
أنت الرقم المفقود ، قبل الفقد ، هل تسمع ؟
مُتْ ثمة أنى شئت
إن المجد أن تمضى إثر الريح
مقتولا . . . ولا ترجع !

طـائر النـورس ينفـر البحـر !

لغرابـةٍ وحشـيةٍ في الكون . . .

تنحدر النجـوم هناكَ مائلـة . . .

ويتكيء الرجال المتعبون على أرائكهم هنـا

ويظل طير النورس البحرى ينفض ريشه متأرجحا

أو ينقر الأمواج ، أو ينساب فوق الماء !

* * *

كنت أَخُوضُ تحت سقوف هذا الكون

أَضْرِحَةً من الكلمات والأصوات الأسماء

كنتَ أكاد أرتجل اعترافاتى . . .

على أمم مُحَدَّبة من التقديس والإخصاء
كان العمر يصدأ في أواني الوقت
أو يهوى دخانا في انهيار تحطم الأشياء
ياشجر السماوات المغرد
ما الذى أبقيت للشعراء ، غير كآبة الشعراء
والفقراء والموتى ؟
وهل لازلت تمسح في غصونك أدمع الفقراء والموتى ؟
وماذا في جبال الشمس ؟
منذ نفضت عن كتفيك ثلج العتمة البيضاء !

رحيـل المفـاجـأة . . .

(مهداة إلى الراحل على شلش)

كعاشق أوغل في حنينه مثلك

هل يمكنني مثلك

أن أوصد باب الحزن من خلفى

وأن اشعل شمس الليل بالغناء ؟

* * *

حين يحط الطائر الشتوى في الموج جناحيه

وينساب كقوس قزحى في أُرتجافات الهواء

وحين يغدو الله والإنسان والماضى

ضبابا حجريا في عيون الشعراء

وحينما يسكن فينا شبح الرهبة ، وانحناءة الرجاء
وحينما تفجؤنا أسئلة الأشياء
وحين نبكى ، ثم لا نبكى
وتعلو حولنا شواهد البكاء ،
كعاشـق مثـلك
هل أقدر أن اَسقى بعض الورد في دريك ؟
هل يمكننى أن أشعل الظلمة بالغناء

أنشـودة تحـت المطـر

مِنْ بعيد ، تُطِلُّ صنوبرةُ الجبل الأطلسي بزينتها

وتلوح لعاشقها ، جَبَلاً مشمسًا من بعيد

كأن اللقالق في الأزرق اللازوردى

لم تبن صومعة للغياب

ولم تتقد عطشًا في أنفعال جديد

وكأنا افترقنا ، ولم نفترق قط

ثم التقينا ، ولم نلتق الآن

في الجذع والغصن ، والعطر والدم

حيث تبعثر أوجهها الروح في وطن من جليد

مطر أنت ، يا أنت ، يهطل فوقي
أنا المطر المتحجر في صدف الكلمات
أنا الشفق المترجرج في الغيم والصحو والكبرياء البطيء العنيد
ربما انكفأ الواقفون على شرفات المدينة
كي لا يروا سفر النار في ثلج هذ المساء الشتائي . . .
في موج هذا السكون الثقيل العتيد !

هـكذا جـاء فــي الكتـــاب

لستَ في زرقة السماوات ، أو حُمْرةِ السحاب

لستَ إلا مساحة عكستْ صـورة الخراب

أترى الآن كيف تنتقم الأرض والتراب

كيف أصبحْتَ هيكلاً عاريًا . . . ساقط الحجاب

أترى الوهم ، كيف يلتف حبلاً على الرقاب

والخطايا وقد غدون زوايا للإكتئـاب

أترى الخوف ، كيف يفترش الصمت والغياب

* * *

ويقول الذى يقول غدًا . . . ساعة الحساب

ربما كان ناسيا ، أَنه جانب الصواب

ربما اغتاله المراؤون ، من صفوة الصحاب

بالجوارى المغنيات . . . وباللهو والشـراب

ربما لم يشـأ . . . ولكنه التـذ واستطاب

ويخـط المنجمون ، على الرمل في اضطراب

ويقولون : إِنَّا رأينـاه في الكتاب !

رقصـــة للجنـــون

وَبَعِيـدًا عن الحـلم
تسقط جوهرةُ الرُّوحِ مطفـأةً
ويسود الظــلام
وَبَعيـدًا عن الزمن الماورائيِّ
تغدو الطواويس أغربة ،
وتموتُ الخطى في الزحام
وبعيدًا عن الشعر والله . .
تنحدر الشمس ذاتُ الصواعق
مقرورةً في العظـام

وكأن السماء هنالك غير السماء

ووقع الحوافر

ينقش فوضاه ، في جبل من رخام

* * *

أو تدرين ؟ يا أنت ؟

بي من جنونك ما ليس بي

من جنـون المقـادير

تثفبـنى ذرةٌ من تـراب

وتغسلنى قطـرة من غمـام

وأُسائل تلك الوجوه : لماذا تغوص اضطرابا

وحين تهب الرياح عليها تصير سحابا

وَأُصغى طويلاً . . وينهمر الصمت حولي . .

وَيَخْضُّر عُشْبُ الكلام !

الفهرست

رقم الإيداع ٧٦١٨ / ٩٤
I.S.B.N 977-09 - 0221 - 7

مطابع الشروق

القاهرة، ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤

بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

